حقوق غير المسلم في الدولة الإسلامية

م. د. خمائل شاكر الجمالي /جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

ملخص

إن الدين الاسلامي دين سماحة ويسر بالعبادات وغيرها من التشريعات وفكرة السلام فكرة أصيلة وعميقة تتصل بالدعوة إلى التعايش مع جميع الأديان؛ فقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حريصاً على تنظيم علاقاته مع غير المسلمين على أساس من التعايش بما يحفظ لجميع الأقليات العيش بسلام وعلى أسس المحبة وعدم التعصب ويقول الله عز وجل : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون متخلفين) . سورة هود: ١١٨

وقد اعتنى الإسلام بالناس وجعلهم اخوة متسامحين متحابين متعاونين مع اختلاف عقائدهم. مما يعني أن يكون الحق لكل فرد بالعيش ويعتقد ويؤمن ما يراه حق وأن تكون له حرية أداء العبادات والمعتقدات التي يراها صحيحة . إنَّ تنوع المجتمع ما هو إلا حالة صحية تبعث على الأمل بوجود جمال وحياة مستمدين بقوله تعالى : (يأيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (سورة الحجرات :١٣)

The rights of non-Muslims in the Islamic state

Assist.Dr. Khamael Shakir Al- Jamali
Baghdad University / revival of Arab Scientific Heritage Center

Abstract

The Islamic religion is a religion of tolerance and is pleased with worship and other legislation and the idea of peace is an authentic and profound idea related to the call for coexistence with all religions. The Prophet (PBUH) was keen to organize his relations with non-Muslims on the basis of cohabitation, On the basis of love and intolerance, God Almighty says: "If your Lord wants to make people one nation and they are still backward." Surah Hud: 118

Islam has taken care of the people and made them tolerant brothers who sympathize with their different beliefs. Which means that everyone has the right to live, believe and believe what he sees right and have the freedom to perform the acts of worship and beliefs he deems correct.

The diversity of society is only a health condition that gives hope to the existence of beauty and life derived from the Almighty saying: (Oh people I created you from male and female and made you people and tribes to know each other(Surah Al - Khajrat: 13

الفصل الأول

مشكلة البحث :

لقد رفض الإسلام اضطهاد أصحاب المعتقدات الدينية التي ارتضت العيش بسلام في دياره ، فنظّم مبادئ العلاقات بينه وبين تلك الأقليات في المجتمع الإسلامي على أساس التوحيد ، وبذل لها من سماحته ، ورعايته ، وعدالته ما لم يوفّره نظام من الأنظمة التي عرفتها البشرية لمَن خالفهم في العقيدة والمذهب والاتجاه ، ومنحهم حرية البقاء على أديانهم ، وضمن لهم حقوقهم كاملة ، كحقّ التقاضي ، وإبداء الرأي ، مع الحماية القانونية لجميع الحقوق الاقتصادية والمالية، وصيانة أموالهم وممتلكاتهم ، ومنحهم حقّ الضمان الاجتماعي ، وسائر الحقوق المدنية في الزواج ، والإرث ، والوصية ، والصدقة ، والوقوف ، مع حقن دمائهم ، وحماية أعراضهم ، ومعاملتهم بالحسنى ، مطبّقاً عليهم شريعته في العدالة والمساواة وعدّهم في هذا كالمسلمين سواءً بسواءٍ . (موسى ،١٩٦١، ص ١٦٥) ، في ظلّ التشريع الإسلامي حَظيّ غير المسلمين في المجتمع المسلم بما لم تَحظَ به أقلّيَّة أخرى في أي قانون وفي أي بلد آخر من حقوق وامتيازات ؛ وذلك أن العَلاقة بين المجتمع المسلم والغير المسلمين جاءت انطلاقاً من قوله تعالى ((لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) (الممتحنة : ٨). فقد حدَّدت هذه الآية الأساس الأخلاقي والقانوني الذي يجب أن يُعامِل به المسلمون غيرهم، وهو البرُّ والقسط لكل مَن لم يناصبهم العداء، وهي أُسُس لم تعرفها البشريَّة قبل الإسلام ، وقد عاشت قروناً بعده تقاسي الويل من فقدانها، ولا تزال إلى اليوم تتطلَّع إلى تحقيقها في المجتمعات الحديثة فلا تكاد تصل إليها؛ بسبب الهوى والعصبيَّة والعنصريَّة. إن أول مدونة حقوقية في الإسلام هي الصحيفة التي أصدرها الرسول محمد ((ﷺ)) في (١) هـ الموافق (٦٢٢م) تميزت بمعالجة إنسانية متطورة وراقية للعلاقة بين التكوينات الاجتماعية السياسية للمجتمع المدني الحديث العهد بالإسلام . (موسى ،٢٠٠٦، ص ٦٧)

وإن المدينة المنورة التي هاجر إليها الرسول ((ﷺ)) كانت تتعدد فيها الانتماءات القبلية والدينية فهي تضم قبائل عربية كالخزرج والأوس وهم من أهم قبائل الأنصار، فضلاً عن المهاجرين المسلمين من قبيلة قريش وقبائل عربية أخرى، كما تضم مجموعات قبليَّة تدين بالديانة اليهودية، وأفراد لم يدخلوا الإسلام وبقوا على شركهم من مختلف القبائل، وقد حددت الصحيفة العلاقات بين السلطة وأفراد المجتمع داخل المدينة على تنوعاتهم الدينية والقبلية، ورسمت علاقات المجموعات مع مؤسسات الدولة الناشئة، وبينت الواجبات والحقوق لكافة أفراد الدولة (الأمة) ، عن طريق دستور مكتوب يرسِّخ مفهوم المواطنة في هذه الدولة. كما وأعطت الصحيفة كل أفرادها حقوق المواطنة في هذه الدولة، أي الانتماء للأمة، وليس الانتماء القبلي الذي كان يسود الجزيرة العربية ومعظم البلدان المحيطة بها في تلك الحقبة التاريخية.

لقد اعتنى الإسلام بالناس وجعلهم اخوة متسامحين متحابين متعاونين مع اختلاف عقائدهم. مما يعني أن يكون الحق لكل فرد بالعيش ويعتقد ويؤمن ما يراه حق وأن تكون له حرية اداء العبادات والمعتقدات التي يراها صحيحة

. إن تنوع المجتمع ما هو إلا حالة صحية تبعث على الأمل بوجود جمال وحياة مستمدين بقوله تعالى : (يأيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (الحجرات :١٣)

وقد حددت الصحيفة أيضاً حقوق وواجبات المواطنين في الدولة وأكدت على المساواة بين رعاياها على مختلف انتماءاتهم الدينية والقبلية وجاء ذلك في نص الصحيفة "وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم". ونوّهت الصحيفة عن مسؤولية الدولة والمجتمع تجاه الرعية ، بحيث لا يتركون من ثقلت عليه الديون وكثر أفراد أسرته دون مساندة ومساعدة، فيقول النص" :وإن المؤمنين لا يتركون مفرَحًا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل."(سعيد ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠٠)

وأشارت الصحيفة إلى المساواة بين أفراد الدولة في السلم والحرب ، كما تجري هذه المساواة على الحليف في الحرب ، فجاء فيها" : وإن سِلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضًا." (ابن هشام ، ج١، د.ت ، ص ١٢٢) ، لقد وضعت الصحيفة أسس الدولة الحديثة ، والقواعد الديمقراطية للدولة الإسلامية ، وفي مقدمتها المساواة بين جميع رعايا الدولة، وهذا أساس مفهوم المواطنة في النظم الديمقراطية، وأعطت المثال الحقيقي للحرية التي لا تزال الإنسانية تبحث عنها إلى يومنا هذا. (موسى،٢٠٠٦، ص ٦٧) ، كما كفل التشريع الإسلامي لغير المسلمين حقوقًا وامتيازات عِدَّة، لعلَّ من أهمِّهَا كفالة حرية الاعتقاد، وذلك انطلاقًا من قوله تعالى ((**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين**)) (البقرة :٢٥٦) .

وقد تجسّد ذلك في رسالة رسول الله (ﷺ) إلى أهل الكتاب من أهل اليمن التي دعاهم فيها إلى الإسلام؛ إذ قال" وَإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لا يُفْتَنُ عَنْهَا" . (ابن هشام ، ج٤، د.ت ، ص ٢٥٨)

وقد أكد الإمام علي (عليه السلام) في كتابه إلى الصحابي الجليل مالك الأشتر (رضي الله عنه) لمّا ولاه مصر على حقوق غير المسلمين جاء فيه : وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبّة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فشأنهم صنفان : **إمّا أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق**) . (الملا ، ١٤٢٦هـ ، ص ٢١٦) ، ويقول الإمام السجاد زين العابدين وسيد الساجدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق: ((وأما حق أهل ملتك♣: إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفقُ بمسيئهم وتألّفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكف الأذى عنهم، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك وإنزال كبيرهم بمنزلة والداك ،وصغيرهم بمنزلة الولد

،وأوسطهم بمنزلة الأخ ،وعجائزهم بمنزلة ألام ، ومعاهدتهم بالرحمة ووصلهم بما يحب لأخيه)). (العاملي ، ج ١٤١٤،٢٩ هـ ، ص٨٨)

وبناءً على ما تقدم من تعاليم الإسلام الحقيقي التي ذكرها القران الكريم ومقولات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام) فيما يتعلق بحقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية والحريات اعتمدت لائحة حقوق الإنسان الكثير من هذه التعاليم ولاسيما قول الإمام علي (عليه السلام) : (**الناس صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق**) في رسالته إلى واليه على مصر . (الملا ، ١٤٢٦هـ ، ص ٢١٦)

أهمية البحث :

إن الدين الاسلامي دين سماحة ويسر بالعبادات وغيرها من التشريعات وفكرة السلام فكرة أصيلة وعميقة تتصل بالدعوة إلى التعايش مع جميع الأديان؛ فقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حريصاً على تنظيم علاقاته مع غير المسلمين على أساس من التعايش بما يحفظ لجميع الأقليات العيش بسلام وعلى أُسس المحبة وعدم التعصب ويقول الله عز وجل : (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون متخلفين) . (هود : ١١٨)

وإنّ من أبرز سمات الفكر المتحضّر شموليته ، ومرونته إذ بالإمكان الإفادة منه في علاج ما يستجد من مشاكل الحياة المعاصرة ، وانسجامه مع طموحات الإنسان وتلبية حاجاته في كلّ عصر وجيل، وسلامة مبادئه من العصبية والتطرف على حساب جنس أو لون أو قومية أو مذهب أو لغة ، مع قوّته في ذاته بسلامة حجته ، ومتانة دليله ، ووضوح منطقه ، ومن الواضح أن فكراً عالمياً بهذه المواصفات لا يمكن أن يكون من نتاج عقلية بشرية ، وإن بلغت من السموّ والارتقاء إلى أقصى ما يمكن أن تبلغه العقول من درجات، ولا شكّ أنّه الدين الوحيد الذي لم يحصر خطابه بأمة معينة ، وإنما خاطب الناس كافة هو الإسلام الذي جاء متمّماً لدعوة الأنبياء جميعاً ، وبكماله وتمامه انقطع وحي السماء ، لقد جاء الإسلام ثورة ضد الظلم والطغيان ليطرح مبادئ جديدة ليس لأهل الجزيرة فحسب بل للبشرية جمعاء فقد أعلى من شان الإنسان جسداً وروحاً وسعى إلى تحقيق قيم العدل والخير والسعادة في الدنيا والآخرة وتحقيق الرحمة للإنسانية التي لا تتم إلا بتحقيق المساواة والحرية والكرامة والحفاظ على حياة الإنسان والاستمتاع بها في ظل الشعور بالإخوة والأصل الواحد ففي قوله سبحانه وتعالى ((**يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**)) (النساء : ١) . وكان هدفه الأسمى تحرير الفرد وتوفير أسباب العزة والكرامة والشرف له.

ومن مؤشرات عظمة هذا الدين أنه لم ينتشر عن طريق القوّة والإكراه بل بأسلوب حضاري سلكه في جذب الناس إليه يتمثل في دعوته إليهم بالتي هي أحسن عن طريق الكلمة الطيبة التي تفوح بالحكمة ، والموعظة

الحسنة ،((وجادلهم بالتي هي أحسن)) .(النحل : ١٢٥) ، وفتح أبواب الحوار الهادئ الموضوعي ، ونبذ اللجاج والعصبية ، وترك الاحتجاج بغير الدليل المقنع. وقد تطرق هذا الأسلوب في القرآن والسنة وأقوال الأئمة الأطهار كما نلحظه في احتجاجات المسلمين الأوائل مع المشركين واهل الكتاب ، والوثنية ، والدهرية ، والزنادقة ، وأهل الكتاب ، والصابئة ، وغيرهم من أصحاب الديانات والملل الأخرى ، هذا الإسلام الحقيقي ، أمَّا ما قام به بعض المنحرفين من ممارسات لا تمت إلى الإسلام الحقيقي وان جاءت بغطاء إسلامي فهي مرفوضة تماما ولا تمثل الإسلام الحقيقي وقد طالت هذه الممارسات المسلمين وغيرهم ولهذا قال الحسين ابن علي (عليه السلام) خرجت لإصلاح امة جدي . وقد تكفَّل الشرع الإسلامي بحقِّ حماية أموال غير المسلمين؛ إذ حرَّم أخذها أو الاستيلاء عليها بغير وجه حقٍّ، وذلك كأنْ تُسْرَق أو تُغْصَب أو تُتْلَف، أو غير ذلك ممَّا يقع تحت باب الظلم، وقد جاء ذلك تطبيقاً عملياً في عهد النبي إلى أهل نجران، إذ جاء فيه"" : وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهِمْ جِوَارُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَبِيَعِهِمْ، وَكُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِير" ، وأروع من ذلك حقُّ غير المسلمين في أن تَكْفُلَه الدولةُ الإسلاميَّة من خزانة الدولة – بيت المال – عند حال العجز أو الشيخوخة أو الفقر؛ وذلك انطلاقًا من قول الرسول : (صلى الله عليه وآله وسلم) "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ". (ابن سعد ، ج١ ،٢٠٠٢ ، ص ٧٣١) ، ومما يُعَبِّرُ عن عظمة الإسلام وإنسانية الحضارة الإسلامية في ذلك الصدد، ذلك الموقف الذي تناقلته كتب السُّنَّة النبويَّة؛ وذلك حين مَرَّتْ على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جنازة فقام لها، فقيل له: إنه يهودي. فقال :أَلَيْسَتْ نَفْسًا.هكذا كانت حقوق غير المسلمين في الإسلام وفي الدولة الإسلامية ؛ فالقاعدة هي: احترام كل نفس إنسانيَّة طالما لم تَظلم أو تُعَادِي. (ابن هشام ، ج٤ ، د.ت ، ص ٢٥٤)

هدف البحث :

يهدف البحث إلى معرفة : (حقوق غير المسلم في الدولة الإسلامية) .

حدود البحث :

يتحدد البحث بغير المسلمين من اليهود والنصارى والديانات الأخرى .

تحديد المصطلحات :

الحقوق :

١- لغةً : نقيض الباطل ، تقول: حق الشيء يحق حقا معناه : وجب يجب وجوباً. وتقول : يحق عليك أن تفعل كذا وكذا ، وأنت حقيق عليك ذلك ، وحقيق علىّ أن أفعله ، تقول : أنت محقوق أن تفعل ذلك ، وتقول للمرأة : أنت حقيقة لذلك ، يجعلونه كالاسم ، وأنت محقوقة أن تفعلي ذلك ، ويحق عليك أن تفعل كذا وحق لك . (الأزهري ،٢٠٠١ ،ج٣ ص٢٤١) .

٢- اصطلاحاً : إنها مجموعة من الامتيازات التي يتمتع بها الإفراد والتي تضمنها بصورة أو بأخرى السلطات العامة أو تلك التي تستحق الضمان (الحاج ، ٢٠٠٤، ص١٦)

الفصل الثاني

الجوانب النظرية

حقوق غير المسلم في الدولة الإسلامية :

أولاً : المساواة في نزعة التديّن والتوجّه نحو الخالق

إن المنهج الإسلامي لم ينشأ في فراغ ، أو في قوالب ومظاهر مثالية ، وانما نشأ في الواقع الموضوعي للحياة ، وانطلق في النفس الإنسانية من أعماقها وأغوارها ومشاعرها الباطنية ، فهو منهج واقعي ناظر إلى واقع الانسان من حيث هو إنسان بما يحمل من غرائز روحية ومادية ؛ كغريزة التديّن والشخوص نحو المطلق ، فهم متساوون في ذلك ، ومتساوون في التأثّر الوجداني بعالم الغيب ، قال المسيو بوشيت :

" إن اعتقاد الأفراد والنوع الإنساني بأسره في الخالق اعتقاداً اضطرارياً قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالّة على وجوده ، ومهما صعد الإنسان بذاكرته في تاريخه ، فلا يستطيع أن يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق ؛ لأنها عقيدة فطرية نشأت معه ، وصار لها أكبر الآثار في حياته. والإيمان بالله تعالى مودع في أعماق الضمير الإنساني. ونزعة التديّن مشتركة بين الناس جميعاً واهتمامهم بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة في تاريخ الإنسان " ، وقد أكّد القرآن الكريم على هذه الحقيقة بقوله تعالى:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) . (لقمان : ٢٥)

والناس جميعاً مقبولون بفطرتهم على الإيمان بالخالق تعالى ، حيث تبدأ تساؤلات الإنسان منذ صغره عن سرّ وجوده ونشأة الكون ومصير هذه الحياة ، ولا فرق بين إنسان وآخر في الإيمان بهذه الحقيقة ، فالجميع متساوون منذ الخلقة الأولى وإلى يومنا هذا. والناس متساوون في التوجّه إلى الله تعالى ، فهو خالقهم وخالق جميع ما في الكون ، وهم متساوون في الشعور بانّه خالق مطلق ، له احاطة تامة بالعالم كلّه ، وبالأرض كلها ، وبالناس كلهم ، يعلم ما يحيط بالإنسان ، وهو المهيمن على سكنات النفوس وحركاتها ، وما تخفي الصدور ، وإليه تعالى المصير ، فهو المبدأ وهو المنتهى ، قال تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) .(البقرة :١٦٣) ، والناس متساوون في موجبات الهداية ، وموحيات الإيمان ، فهي ممتزجة بكيانهم الذي زودته بهم الفطرة والعقل السليم ، فكل ما في الكون يدل على وجوده تعالى ، وقد بيّن لهم تعالى ما يدل عليه من خلال التفكر في الكون والحياة وفي أنفسهم. وهم متساوون في شمولهم بالرأفة والرحمة الإلهية ؛ قال تعالى: ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ))(الأعراف : ١٥٦).

ثانياً : المساواة في الخصائص الإنسانية

الناس متساوون في خصائصهم الإنسانية ، فقد خلقهم الله تعالى من مصدر واحد ، لا فرق بينهم ولا تمييز من حيث النشأة والابتداء ، قال تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ)) . (المؤمنون : ١٢) ، وقال تعالى : ((خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)) . (العلق : ٢)

والناس جميعاً خُلقوا من ذكر وأنثى ، فلا فرق بين عنصر وعنصر ، وسلالة واخرى ، ولا تمييز بين لون ولون ، قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)) . (الحجرات : ٣١)، وقال تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)) . (الأنعام : ٩٨) ، فلا موجب للتمييز ، فالخالق واحد ، والأب واحد ، والمصدر واحد ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " أيها الناس إن ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ..." (الالباني ٤٥١ / ١ ، ١٤١٦ هـ ، ص ٤٣٢)

وهم متساوون في الخلق كما قال الإمام علي (عليه السلام) : « ... فالناس صنفان : أما أخ لك في الدين ، وأمّا نظير لك في الخلق » . (الملا ، ١٤٢٦هـ ، ص ٢١٦)) ، فهم متساوون في طبيعة الخلقة ، مركّبون من جسد وعقل ونفس وروح ، ومن غرائز وشهوات واحدة ، وهم متساوون في الضعف والمحدودية ، قال تعالى : ((يُرِيدُ الله أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا)) . (النساء : ٢٨) ، وهم متساوون في الصفات المرافقة لضعف الانسان ومحدوديته ، قال تعالى : ((وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً)).(الإسراء : ١١) ، وقوله تعالى : ((وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا)).(الإسراء : ١٠٠) ،((وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شيء جَدَلا)) . (الكهف : ٥٤) ، ((وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ)) . (هود : ٩) ،((إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)).(المعارج : ١٩-٢١)

فالناس جميعاً يمتازون بالضعف والمحدودية ، والافتقار إلى الخالق تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَالله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)) (فاطر : ١٥) ، والله تعالى هو الذي جعل للإنسان جوارحه : ((قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ)). (الملك : ٢٣) ، وجعلهم متساوين في العقول والمشاعر والاحاسيس ، بلا فرق بين إنسان وإنسان ، ولا ميزة لسلالة على سلالة ، ولا لعنصر على عنصر ، فالجميع متساوون من حيث خصائصهم الذاتية ، أمّا انعكاس هذه الصفات على الواقع العمليّ فمتوقّف على درجات التفاعل مع المؤثرات الخارجة.وهم متساوون في حبّ الشهوات :((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) (آل عمران : ١٣-١٤)

والناس متساوون في الموت والحياة والبعث والنشور. وهم لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ، ولا يعلمون ما يجري في المستقبل عليهم من حيث الحياة والرزق والموت ، فهم متساوون في جميع ما يتعلق بالإنسان من خصائص ذاتية وطبيعة، جسدية وروحية ، نفسية وعقلية ، ومتساوون في الضعف والكينونة المحدودة ، بلا فرق بينهم في أصل خلقتهم.

ثالثاً : المساواة في الحرية

الناس في حدود ما شرعه الله تعالى . متساوون في الحرية ، فالإنسان خُلق حرّاً ، فلا عبودية إلاّ لله ولا استعباد من أحد لأحد ، قال تعالى((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يؤتيه اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ)).(آل عمران : ٧٩)

فلا يحقّ للإنسان . وإن كان في قمة التمتع بالخصائص المعنوية والروحية . أن يستعبد غيره، فالإنسان مولود ترافقه الحرية في جميع مراحل حياته ، وقد خلقه الله تعالى على هذه الشاكلة ، قال الإمام عليّ (عليه السلام) : « ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً » . (نهج البلاغة ، الصالح ، ٢٠٠٤ ، ص ١١٣١) ، وقال (عليه السلام) : « ان آدم لم يلد عبداً ولا أمة ، وإنّ الناس كلهم أحرار » . ((نهج البلاغة ، الصالح ، ٢٠٠٤ ، ص ١١٣٣) ؛ فالناس أحرار في علاقات بعضهم ببعض ، وهم عبيد إلى الله وحده ، ومتساوون في هذه العبودية التي تستلزم نفي جميع الوان العبودية لغيره تعالى وان كان مقرباً إليه تعالى طبقاً لموازين ومعايير القرب منه سبحانه، كأن يكون رسولاً منه إلى البشرية ، قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)) . (المائدة : ١٦- ١١٧)

وقد أمر الله تعالى الناس أن يعبدوه وحده ، كما هو ظاهر الآيات الشريفة الآتية :((وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ)) .(التوبة : ٣١) ((وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)). (البينة : ٥) ((اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)).(الأعراف : ٥٩) ، فهم متساوون في العبودية لله تعالى التي تستلزم نفي عبادة غيره من عبادة للهوى أو الأنا أو عبادة الأصنام البشرية ، أو عبادة أصحاب المؤهلات الكبيرة كالأنبياء واوصيائهم والرهبان والقساوسة أو عبادة الابطال الذين لهم دور في حركة التاريخ الانساني (الكليني ، ١٤٠١هـ ، ص ٤٧)

وعبّر القرآن الكريم عن جميع الشخصيات النموذجية بالعبيد مساواة لغيرهم من بني الانسان في العبودية لله ، ونفى العبودية لغيره تعالى ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة بهذا المعنى ، كقوله تعالى ((لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ)).(النساء : ١٧٢)، وقوله تعالى : ((ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)) . (الإسراء : ٣) ، وقوله تعالى((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوب)). (ص : ٨٣) ، وقوله تعالى :((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ)) .(البقرة : ٢٣)، والمساواة في الحرية تستلزم تحرير الانسان من جميع الاغلال والقيود التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وبهذه المساواة يتخلّص من أغلال التحجر العقلي والتقليد الجامد ، والتبعية اللاواعية للغير ، ويتربّى على حرية التفكير واستقلال الإرادة.

رابعاً : المساواة في التكريم

الإنسان مخلوق مكرّم من قبل الله تعالى ، وقد أكّد القرآن الكريم هذا التكريم في جهات عديدة ، فهو مكرّم في خلقه ، قال تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)).(التين : ٤) ، مكرّم بالتمتع بما سخّره الله له ، لا فرق بين إنسان وآخر ، قال تعالى :((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا)) .(البقرة : ٢٩) ، وقوله تعالى

: ((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا)) . (الجاثية : ١٣) ؛ فللناس جميعاً لا فرق بين أسودهم وأبيضهم حقّ الاستثمار والتعمير والإفادة من الإمكانيات المسخرة لهم لإدامة الحياة وإدامة الحركة التاريخية ، فالتكريم في هذا المجال شامل للجميع لا فرق بينهم ، فالناس مكرمون جميعاً من الله تعالى ، فليس هنالك قيمة تعلو على قيمة الانسان أو تهدر من أجلها قيمته.

وأما التكريم الموضوع على أسس وقواعد صالحة ، كالإيمان ، كما في قوله تعالى : ((وَلَعَبْدٌ مُوَمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ)) .(البقرة : ٢٢١)، والتقوى ، كما في قوله تعالى:((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).(الحجرات : ١٣) ، والعلم ، كما في قوله تعالى : ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)) . (الزمر : ٩) ، فإنّ هذا التكريم لا ينافي المساواة في التكريم العام للناس جميعاً وبأمور شتى بها تميّز إنسانيتهم وتقوّم حياتهم ، وإن كان في هذا التكريم الخاص تفاضل واضح ، فهو إنما لتحفيز الإنسان على ما به كماله واحترام إنسانيته.

خامساً: المساواة في التكليف والجزاء

الناس جميعاً متساوون في التكليف الإلهي في الحياة الدنيا ، ومتساوون في الجزاء من ثواب وعقاب في الدار الآخرة ، دون تمييز وتفريق أو ترجيح ، فالجميع مكلفون بالإيمان بالله والايمان باليوم الآخر ، بعدما تبرز لهم البينات ، وتتضح لهم البراهين ، بانهم حادثون ومخلوقون للمطلق العليم ، وقد جعلهم الله تعالى متساوين في الاطلاع على البينات والبراهين والادلة ، فهو يخاطب فطرتهم وعقولهم ليحرك دفائنها ، ويثير كوامن النفس للاستسلام للحقائق التي توصل إلى معرفته تعالى ، قال تعالى : ((أَمَّنْ يَبْدَوْاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) .(النمل : ٦٤) ، وقال تعالى: ((وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)).(الحشر : ٢١)

ولم يكلّف الله تعالى الناس حتى بعث النبيين والمرسلين ، قال تعالى : ((وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)) . (الإسراء : ١٥) ، والتعذيب فرع التكليف . وكان آخرهم نبينا محمّد(صلى الله عليه وآله) الذي بعث إلى الناس جميعاً لإرشادهم وإلقاء الحجّة عليهم في الهداية ، فهو لم يبعث لقوم دون قوم ، ولا للون دون لون ، وإنما للناس على مختلف ألوانهم وأجناسهم ، كما ورد في الآيات الكريمة: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) .(الأعراف : ١٥٨) ، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)) . (سبأ : ٢٨) ، ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ)).(الحج : ٤٩) ، وبدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتبليغ الرسالة الإلهية إلى الناس جميعاً ؛ إلى العرب والعجم وإلى الوثنيين وأهل الكتاب بلا فرق ولا تمييز.

والناس متساوون في التكليف حسب الطاقة الانسانية المحدودة ، قال تعالى : ((لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا).(البقرة : ٢٨٦)، وقال تعالى: ((مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)).(الحج : ٧٨)، وقال تعالى : (يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ).(البقرة : ١٨٥)

فالناس متساوون في التكليف في الاصول والفروع ، فهم مكلفون بالعقيدة والشريعة على حدٍّ سواء ، وقد جعل الله تعالى هذه الحياة قنطرة للحياة الأُخرى التي يتساوى الناس فيها في محكمة العدل الإلهي فلا يظلم أحد قط ، وكلّ

منهم يجد ما عمله أمامه ، وقد خاطب القرآن الكريم الناس جميعاً بذلك : ((يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ)).(الانشقاق : ٦)، والله تعالى جامع الناس بلا تمييز لليوم الآخر: ((رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)).(آل عمران : ٩)، ((وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)).(الجاثية:٢٢) ، ((لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)) (النجم : ٣١)، فهم متساوون في ذلك اليوم بلا تمييز لعنصر على عنصر أو جماعة على جماعة ، فالجنة مثوى المؤمنين الصالحين ، والنار مثوى الكافرين والطالحين وان انتسبوا إلى الانبياء بأن كانوا أبناءهم أو بناتهم أو نساءهم ، أو ينتمون إلى لغتهم أو قوميتهم أو عنصرهم.

سادساً : المساواة في الإرادة والاختيار

خلق الله تعالى الناس وهم أحرار في ارادتهم واختيارهم ؛ في الاعتقاد به والالتزام برسالته ، وجعلهم متساوين في حرية الإرادة والاختيار ، فالله تعالى منحهم العقول والغرائز ليتوصلوا من خلال الآيات والبينات إلى اتخاذ المنهج الإلهي في الحياة ، في عقولهم ونفوسهم ومواقفهم ، وبعد إلقاء الحجّة عليهم ، ترك سبحانه لهم حرية اختيار ما يرونه بلا اكراه ، قال تعالى : ((إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)) . (الانسان : ٢-٣) ، والناس متساوون في هدايتهم لنجد الخير ونجد الشر، قال تعالى: ((وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)).(البلد : ١٠)، وهم أحرار في اختيار الهدى أو الضلال ، قال تعالى : ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)) .(يونس : ١٠٨) ، والناس متساوون في اصلاح نفوسهم وعدم إصلاحها ، فقد ألهَمَ الله تعالى كل نفس عناصر الفجور والتقوى ، ثم بيَّن لها طريق الصلاح والطلاح ، والأمر عائد للإنسان نفسه : ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)) . (الشمس : ٧-١٠)

سابعاً . المساواة أمام السنن الالهية :

في هذه الحياة سننٌ إلهية ثابتة لا تتبدّل ولا تتغيّر ولا تختلف ، والناس متساوون أمامها دون فرق أو تمييز ، فالله تعالى لا يغيّر ما بهم حتى يغيّروا ما بأنفسهم : ((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) . (الرعد : ١١)

ومن السنن الثابتة التي يتساوى أمامها الناس جميعاً ، هي التمتع ببركات الله في حالتي الإيمان والتقوى ، والحرمان منها في صورة التكذيب بآيات الله سبحانه ، قال تعالى : ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)).(الاعراف : ٩٦)

وإنّ الله تعالى يبتلي دون تمييز أُمة عن أُمة وقوم عن قوم ولون عن لون ، لكي يعودوا إلى الإيمان به والاستقامة على منهجه ، والناس متساوون في العقوبة الإلهية إن غيّروا حركة التاريخ المتوجهة نحو الكمال والسمو ، قال تعالى : ((إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يفسّقون)) (العنكبوت : ٣٤)

لقد تبنى الإسلام مبدأ التكافل الاجتماعي ، واشباع حاجات الفقراء والمستضعفين ، سواء أكانوا مسلمين ام غير مسلمين ، ما داموا يعيشون في ظل الدولة الإسلامية.

كما تبنى القانون الاسلامي دفع الدّية عن الذمي العاجز من بيت المال ، فإذا قتل الذمّي مسلماً خطأً فديته عليه ، فإن لم يكن له مال ، ولا يستطيع السعي ، فعلى بيت مال لمسلمين ، وقد تقدّم ان المسلمين كانوا لا يأخذون الجزية من الأطفال والفقراء والشيوخ والمرضى والنساء. ولو قدر للإسلام ان يطبق في الواقع ، لتمتع جميع المواطنين مسلمين وغير مسلمين بالرفاه والرخاء ، ولزال شبح الفقر والعوز ، إذ حثّ المنهج الاسلامي على التكافل الاجتماعي ، والمساهمة في اشباع حاجات الفقراء والمساكين ، ابتداء بالأرحام ثم الجيران ثم المجتمع.

كذلك اثبتت السيرة النبوية تمتع أهل الذمة بكامل حقوقهم في العهد النبوي ، حيث منحوا حقّ الضمان اسوة بالمسلمين . (الحراني ، ١٣٨٠ هـ ، ص ٦٢)

الفصل الثالث

الاستنتاجات :

١-إن الدين الإسلامي يحترم حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية .

٢- إن الدين الإسلامي دين عدالة وسلام وحرية ورحمة .

٣-القران الكريم والسنة النبوية وأقوال الأئمة الأطهار تجسد سلوك المسلمين في احترام حقوق غير المسلمين.

التوصيات:

١- ضرورة معرفة حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية .

٢- ضرورة تطبيق مبدأ المساواة بين المسلم وغير مسلم في المجتمع الإسلامي .

٣- تربية الإبناء على حب وأحترام غير المسلمين في المجتمع الإسلامي .

المقترحات :

١- إجراء دراسات وبحوث تسلط الضوء على حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي .

٢- العمل على التأكيد على حقوق غير المسلمين في المناهج الدراسية .

٣- إعداد برامج توعوية تؤكد على احترام حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية .

المصادر

- القرآن الكريم

١- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منبع الزهري (ت ٢٣٠ هـ) . كتاب الطبقات الكبرى ، ج١، مكتبة الخانلي ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٢ .

٢- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري (ت ٢١٨ هـ) . السيرة النبوية ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د. ت .

٣-الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد . (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ = ٨٩٥ - ٩٨١ م) : تهذيب اللغة ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م .

٤- الالباني، محمد ناصر الدين . سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط١ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٦ .

٥- الحاج، ساسي سالم : المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان ؛ دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط ٣ ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

٦- الحراني، الحسن بن علي بن شعبة . تحف العقول ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٠هـ

٧- سعيد ، صبحي . الإسلام وحقوق الإنسان، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٩٤.

٨- صبحي ، الصالح . نهج البلاغة ، ط١ ، دار الكتاب المصري ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٤ .

٩- العاملي، الشيخ محمد بن الحسن الحر(ت ١١٠٤) . وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٩ ، ط ٢، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، مهر – قم ، ١٤١٤ هـ .

١٠-الكليني ، ثقة الإسلام . روضة الكافي ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ.

١١- الملا ، فاضل عباس . كتاب في منهج الإمام علي (عليه السلام) في القضاء ، ط١ ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥ .

موسى، سلامة . حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١. ١٢-

١٣- موسى، محمد فتحي. التربية وحقوق الإنسان في الإسلام، ط١، دار القضاء، مصر ، ٢٠٠٦.